

علاقة التخطيط اللغوي بالاستثمار في العربية وقضاياها الراهنة

أ. محمد العربي خضير

Abstract:

This article addresses the notion of the linguistic planning and language reform mechanisms through stressing out the concept; the stages and the employed means. This highlight is due to its importance in the language development and to the vitality of the investment into such development Furthermore, within this research, there are a few suggested reform planning proposals which seem necessary in order to change the reality of the Arabic language and solve its problems, as well as solving all the economic, social and political issues that result from the weakness of our national language.

الملخص:

المقال هو ورقة بحثية لخص فيها الباحث قضايا جوهرية ترتبط بالتخطيط للغة العربية، مع بيان أثر ذلك في مشروع الاستثمار في نهضتها وتطورها على عدة أصعدة وميادين: سياسية واجتماعية وثقافية، صدر البحث تحديد مفاهيم التخطيط اللغوي وآلياته ووسائله، إلى استراتيجية النهوض بالعربية والنظر الدقيق في قضاياها الراهنة للبحث عن مقترحات وحلول .

لما كانت مكانة الأمم من مكانة لغاتها من جهة، وحفاظا على الهوية وحلا لمشاكل سياسية واجتماعية واقتصادية داخل المجتمع الواحد من جهة أخرى، كان من الواجب المحتم العمل على ترقية اللغة وإصلاح مشاكلها المتعلقة بمتنها وبنيتها أو بوضعها ومكانتها. فكل هوان يصيب اللغة، إنما هو هوان للأمة بأسرها.

إنّ هذه المكانة التي تتبوّأها اللغة في تأسيس المجتمعات وبناء الشعوب، هي الداعي الأهم للاهتمام بها، والعناية بالنظر فيها وفي مشاكلها وتحدياتها، سعيا ورغبة في تحقيق ما يعرف بالاستثمار اللغوي؛ إذ هو استثمار واستغلال نفوذ اللغة وسلطانها وهيمنتها في تطوير وترقية جميع المجالات الحيوية داخل المجتمع؛ السياسية منها والاقتصادية، بالإضافة إلى الدينية والاجتماعية، وكذا الثقافية والتربوية التعليمية. فكل هذه المناحي والنواحي المؤلفة للبنى التحتية والتركيبية الذهنية للمجتمع كجماعة وكأفراد، فهي ذات الصلة الكبيرة باللغة، وبمدى تطورها ورقبها وأدائها لمهامها، ومدى حيوتها في تمثيل وتفعيل تلكم الجوانب.

إذا كان الاستثمار في المفهوم الاقتصادي هو تفعيل الإمكانات في سبيل الوصول إلى أرباح وأحوال أحسن وأكثر نماء وزيادة¹، فإنّ الاستثمار في المجال اللغوي لا يخرج كثيرا عن هذه المبادئ، ولا يقل أهمية عنها؛ بل هو أكثر شمولية منها، بحكم أنّ الجوانب الاستثمارية للاقتصاد أساسها القوة والهيمنة اللغوية، وبالأخص لغة العملة والمبادلات التجارية. وإن بدت المعاملات الاستثمارية في الاقتصاد أكثر واقعية وحسا ماديا، فإنّ الاستثمار في اللغة هو جانب داخلي في المجتمع غالبا ما لا نشعر به إلا من خلال الرقي والانسجام والهيمنة اللغوية للشعوب؛ أي على الصعيد الخارجي أكثر منه على الصعيد الداخلي. كما أن الغموض ظلّ يكتنف الاستثمار

اللغوي؛ نظرا لصعوبة التحكم في اللغة من جهة - خاصة تلك الماثلة في أوضاع التعدد والتداخل اللغوي- واعتبارا لتشنت الظاهرة اللغوية من الفعل الفردي إلى الكيان الجماعي، ومن الحقيقة التاريخية، إلى الممارسة الواقعية، من جهة ثانية.

وإذا كان كذلك الاستثمار في المباحث الاقتصادية والقانونية ينقسم إلى استثمار طويل المدى وآخر قصير، فإنّ اللغوي غالبا ما يكون طويل المدى؛ وذلك من خلال تطبيق سياسة جادة وواعية، تنطلق من قرار سلطوي إلى قبول شعبي، تتبعها استراتيجيات تنفيذية ميدانية يمكن تحقيقها الرعاية الزمنية الكافية.

ومما يضاف أيضا بشأن الاستثمار، أن الاقتصادي مثلا يعتمد على مبدأ رأس المال والتنبيؤ بالنتائج²، ويمثله اللغوي بذلك في سبيل تحقيق النجاح الحضاري انطلاقا من اللغة التي تشكل فيه هي رأس المال المدفوع، على أن تكون أرباحه إصلاح المستويات الأخرى. فالتخطيط أو الإصلاح اللغوي وسيلة لتفعيل ذلك كله توضع لإنجاحه خطط واستراتيجيات ووسائل مادي.

وبعد التطرق لبعض مفاهيم الاستثمار في اللغة انطلاقا من الاستثمار في المجالات الأخرى والعلاقة المتكاملة بينها، يسعى الباحث الإجابة عن المشكلات والتساؤلات الآتية:

- ✓ ما صلة الاستثمار في اللغة بجميع جوانب حياة المجتمع والأمة الواحدة ؟
- ✓ ما صلة التخطيط اللغوي بالاستثمار في اللغة وتحقيق أهدافه ؟
- ✓ ما علاقة التخطيط اللغوي للعربية بطموح الاستثمار فيها في ظل واقعها الراهن ؟

يمكن القول بدءا وتمهيدا أنّ: «اللغة أخطر الظواهر الاجتماعية على الإطلاق، وكل تقدّم اجتماعي كتب له الكمال إنّما لوجود اللغة واللغة أخطر رابطة تاريخية تربط الأجيال المختلفة من الشعب الواحد رباطا يجعل وحدة هذه الأجيال حقيقة ملموسة على رغم اختلاف العصور واللغة سلاح من أقوى الأسلحة التفسيرية للسيطرة على الأفكار والأشياء، وما أمر الدعاية بالخطب والإعلانات بالأمر الهين..... فإذا كان للغة كل هذا الخطر على نفس المواطنين والأجانب، فحريّ بدراستها أن تكون محل عناية»³.

كما ظلت اللغة محل اهتمام الإنسان قديما وحديثا، فشغل بالبحث في قضاياها وخصائصها، وحاول تحديد طبيعتها وضبط ماهيتها. ولعلّ أشهر هذه القضايا اختلاف الباحثين في تعريفها والوقوف على مفهومها؛ لأنّ «صوغ تعريف علمي شامل للغة ليس بالأمر الهين كما قد يتبادر للذهن»⁴. ومردّ ذلك أنّ «اللغة مركب معقدّ تمسّ فروعاً من المعرفة مختلفة وتُعنَى بها طوائف متفرقة من العلماء، فهي فعل فسيولوجي من حيث أنّها تدفع إلى العمل عددا من أعضاء الجسم الإنساني، وهي فعل نفساني من حيث أنّها استجابة لحاجة الاتصال بين بني البشر، ثم هي في النهاية حقيقة تاريخية لا مرأى فيها»⁵.

وليست اللغة مجرد ظواهر ذهنية تقتصر على تعريفها وفهم كنهها، بقدر ما هي مجال حيوي داخل الشعوب والمجتمعات؛ إذ يمكن الاستثمار فيها والاستثمار بها لترقية المجتمع وحل مشاكله وهمومه. والاستثمار في اللغة مصدر استثمار يستثمر، وهو للطلب بمعنى طلب الاستثمار، وأصله من الثمر. ويقال بفتح الميم: ثمر الشجر ثمورا؛ أي أظهر ثمره، وثمر الشيء، إذا نضج وكمل. ويقال بتشديد الميم: استثمر المال وثمره؛ أي استخدمه في الإنتاج. واستثمر الشيء، أي وظفه واستغله في الإنتاج⁶.

وأما لفظ الاستثمار فلم يرد في كتب اللغة قديماً بمعناه الاقتصادي، وقد ورد حديثاً في معجم الوسيط: الاستثمار (investment): استخدام الأموال في الإنتاج إما مباشرة بشراء الآلات، وإما بطريقة غير مباشرة كشراء الأسهم والسندات.⁷

ويرتبط الاستثمار في اللغة بالتخطيط اللغوي الذي يهدف إلى تهيئتها ونمذجتها داخلياً وخارجياً، لذا فإنَّ الاستثمار الناجح والفعال، هو الذي ينطلق من سياسة تخطيطية لإصلاح متن اللغة ومكانتها. والتخطيط اللغوي بلمحة تعريفية، أصله في اللغة من مادة خطَّ. يقال خطَّ الخط، وهو الطريق المستقيم في الشيء، والجمع خطوط. والتخطيط هو التَّسْطِير والتَّهْذِيب. والخُطَّة بالضمة شبه القصة والأمر. فالتَّخطيط في اللغة بصفة عامة، هو من تعديل الأمر وتدبيره وتهذيبه مع تمام لزومه⁸.

هذا عن التخطيط لغة، أما التخطيط اللغوي فالمصطلح هو ترجمة للمصطلح الإنجليزي المركب (Langage Planning) الذي ظهر عند اينار أوجن (Einar Haugen)، وقد تُرجم إلى الفرنسية ب: (Planification Linguistique). ولئن تعددت تعريفات التخطيط اللغوي وتباينت مصادرها، إلا أنَّها لم تختلف في أنَّه تلك العملية المنظَّمة التي تمسُّ اللغة في مستوى من مستوياتها الداخليَّة أو الخارجيَّة (وضعها ومكانتها أو منتهى وبنيتها)، فهو « النَّشاط الذي يقوم بتحضير إملاء وقواعد ومعاجم نموذجية لتوجيه الكتاب والمتكلمين في مجتمع لغوي غير متماسك، وهو توجيه تطور اللغة في الاتجاه الذي يرغب فيه المخطَّطون »⁹. وهذا إشارة إلى أنَّ التخطيط هو عملية إصلاحية للغة، يقوم بها المخطَّطون، وغالباً ما يكونوا من أصحاب السَّطة والقرار؛ لأنَّ التخطيط اللغوي هو تطبيق لسياسة لغوية.¹⁰

ويلتقي الاستثمار في اللغة بتطبيقات التخطيط اللغوية الميدانية في الأهداف المنبثقة من امتداد جذور اللغة عمق المجتمع، حيث أنَّ اللغة حاملة للثقافة، وجوهر كل العلوم والفنون، ووسيلة المبادلات التجاريَّة، وأداة الهيمنة السياسيَّة، لذا فإنَّ إصلاحها هو إصلاح شامل لجميع هذه المجالات؛ ذلك « أنَّ اللغة (أيَّة لغة على وجه الأرض) مرآة عاكسة لكل مناحي الحياة والنَّشاط الإنساني في مجتمعها، أو قل - بعبارة أدقَّ تعبيراً - اللغة هي الإنسان نفسه »¹¹.

من هنا أدركت الدَّول المتقدمة أهمية الإصلاح اللغوي وأثره في رُكْب الحضارة ومُعْتَرَك التنمية، وأيقنت ثَمَامَ اليقين: أنَّ « التخطيط اللغوي لا يقل أهمية عن التخطيط الاقتصادي والاجتماعي والزَّراعي باعتباره أمناً لغوياً »¹²، وأنَّ « لا سبيل للتخلُّص من التبعية الثقافيَّة والاقتصاديَّة والفكريَّة والسياسيَّة، إلا بالتخلُّص من التبعية اللغويَّة »¹³، فاهتمت هذه الدَّول بِالْعِ الاهتمام بلغاتها، وعَمِدَتْ إلى رفع مكانتها وتصحيح نقائصها وعيوبها، لذلك لا يجب أن يُنظر للتخطيط اللغوي والاستثمار باعتبار اللغة وسيلة اتصال فقط، بل يجب النَّظر إليه من جوانب كثيرة يمكن إيجازها في الجوانب الآتية:

الجوانب الاجتماعية:

ولأنَّ « اللغة ظاهرة اجتماعية بامتياز »¹⁴؛ إذ تتيح إمكانية التَّواصل بين أفراد المجتمع الواحد، كما تحفظ ذاكرته وتاريخه وتفصح عن جميع عاداته وتقاليده، بل « اللغة هي التي تصنع الأمة إلى حد كبير »¹⁵، فالصلة متينة بين الوحدة اللغويَّة والوحدة الاجتماعيَّة، و« لا تستطيع أي مجموعة من الأشخاص أن تتصرف بشكل جماعي منسجم، إلا من خلال لغة مشتركة »¹⁶. بالإضافة أنَّ اللغة من أوضح سمات انتماء الفرد إلى مجتمعه؛ إذ كلُّ لغة تحدّد هوية مجتمع، والناطقون بها يفهم بعضهم بعضاً. فهي لا تعمل كوسيلة اتصال فحسب، بل كشعار لهويتهم

التميزة أيضا. من هنا يبدو جليا أنّ اللغة آلية اتصال وانسجام اجتماعي وحافضة للتاريخ والذاكرة، كما أنّها رمز من رموز الهوية والانتماء للأمة.

واللغة ليست كائنا معزولا عن المجتمع، ولا بنية مجردة في أذهان الناس، وإنّما هي نفسها بنية اجتماعية؛ معنى ذلك أنّها تتفاعل مع الواقع الاجتماعي بجميع أصنافه ومتغيراته، لذلك فالبنية الاجتماعية والبنية اللغوية هما في علاقة تفاعل متواصل تحكمه قيود وعوامل حسب الأهداف والوظائف والأدوار¹⁷. على هذا الأساس كانت النظرة اللغة من الناحية الاجتماعية تكتسي أهمية بالغة وبذلك يكون كل استثمار أو تخطيط لغوي هو استثمار وتخطيط نحو توطيد الصلات الاجتماعية.

الجوانب السياسية:

لأنّ اللغة رمز الهوية والانتماء، وأداة التّخاطب السياسي، وهمزة الوصل بين الشعب وجميع إدارات السلطة، كما تُدَوّنُ بها العهود والمواثيق، وتُنظّمُ مبدأ العلاقات الداخلية والخارجية، إذن لا يمكن التّحكم في الشؤون السياسية للأمة، إلا بالتّحكم اللّغوي والعمل على الانسجام والوحدة كما قال كلود حجاج: « إذا نجح رجل الدولة في مراقبة سير اللغة في مرحلة حاسمة، فإنّه يُضيف إلى سلطته سلطة أخرى خفية وفاعلة »¹⁸.

ومما لاشكّ فيه أنّ الوحدة اللّغوية للدّول هي سبيل قوي للحفاظ على وحدتها السياسية والأمنية؛ إذ كثيرا ما ينتج عن الاختلافات اللّغوية انشقاقات وصراعات لا تعود بالخير عليها. « فالمجتمع اللّغوي ليس فقط مجموعة تتميز باستخدامها للغة معينة بذاتها، بل هو كيان بحدّ ذاته ونظرته للعالم تُغذيها معلومات من تقليد لغوي عام مشترك واللّغة تجلّبُ معها كتلة من المُدركات الحسية والصيغ الشائعة والأحكام والإلهامات »¹⁹.

الجوانب الاقتصادية:

لأنّ اللغة هي شفرة المبادلات التجارية المكتوبة والمسموعة، كما تُستمدُّ الهيمنة الاقتصادية قوتها من الهيمنة اللّغوية والجوانب الاقتصادية في اللغة عديدة ومتنوعة كما أشار لذلك فلوريان كولماس (Coulmas Florian): « فاللغة يتعين اعتبارها أمرا له قيمته، ليس المعيار المعنوي وحده، لكن أيضا بالمعيار المادي. كما أنّ قيمة النقود تتجاوز بكثير وظائفها باعتبارها أداة لتبادل السلع الاقتصادية وكل من اللغة والنقود تُدينُ بوجودها للاعتماد المتبادل بين الناس،..... فالنقود أيضا تقوم بوظائف اتصالية كما أنّ اللغة تقوم بوظائف اقتصادية »²⁰.

يبدو مما سبق أنّ التّخطيط للغة إنّما هو تخطيط اقتصادي كذلك، فالانسجام اللّغوي هو سبيل قوي للهيمنة الاقتصادية؛ بحكم أنّ « الإنتاج الصّناعي يتطلب أساليب موحدة ومنظمة كما يحتاج إلى سكان متحركين ومتجانسين وعلى درجة عالية من التّعليم، وهذه المتطلبات تعني الحاجة إلى استعمال لغة واحدة موحّدة عن طريقها يمكن أن يتواصل جميع أعضاء المجتمع الذين يشاركون في العملية الاقتصادية »²¹.

لا تقتصر صلة اللغة بمناحي الحياة على الجوانب السياسية والاجتماعية والاقتصادية فقط؛ بل تتعداها إلى الجوانب الدينية بحكم متانة لغة الدين وتعاليمه في وحدة المنتمين إلى الوطن الواحد والديانة الواحدة، كما أن الجوانب التربوية التعليمية في قوة اللغة ومثانتها ورقبها، تؤدي

من شأنها إلى نجاعة تعليمية وتكوينية في جميع فروع وتخصصات العلم والمعرفة، وهذا عين الاستثمار وجوهر القوة والهيمنة في الأمم والشعوب.

ولكي تحقق اللغة الاستثمار يجب أن تكون مؤهلة متنا ومكانة؛ لذا يجب أن يتحدّد هدف العملية الإصلاحية من طبيعة الإشكال المراد إصلاحه، ومن طبيعة أهداف الاستثمار فيها. غير أنه من الممكن حصر الهدف العام للتخطيط اللغوي، في « وضع حلول للمشاكل اللغوية والتّعرف العلمي على أوضاعها في المجتمع عن طريق المسوح اللسانية، والعمل على تعييدها وتبسيطها وتقسيمها ومعالجة طرق كتابتها وطباعتها وحوسبتها وتعميم استعمالها »²².

وسائل التخطيط اللغوي:

ما من شك أنّ ترجمة أيّ تخطيط لغوي من التّصور والاستشراف والتّوقع والتّنظير إلى ممارسة فعلية ذات أهداف منشودة يعلّق عليها المجتمع اللغوي آمالا طموحة تقتضي من ذوي الحل والعقد توفير موارد بشرية مسلحة تسليحا جيدا باللسان الذي يرغبون أن ينجزوا وينفذوا به هذا المشروع²³. ولعلّ أول الوسائل التي يجب توفرها هي القوة البشرية من سلطة وإدارة وعامة الشعب، ثم القوة المادية من توفير للموارد المالية وتسخير وسائل الإعلام والمدارس ونشر الإعلانات في المؤسسات العامة والخاصة. وأهمّ هذه الوسائل هي:

الإرادة السياسية: ويقصد بها القرار السياسي الذي تصدره السلطة تجاه قضية لغوية، وهذا القرار يكون بمثابة الوقود المحرك للعملية التخطيطية؛ لأنّ « العلاقات بين السياسة اللغوية والتّخطيط هي علاقات تبعية »²⁴. فإذا لم تتوفر الأولى فشلت الثانية واضمحلت إلا في نادر الأحيان. ومردّد هذا أنّ السلطة تلزم وتجبر الجميع على تطبيق القانون اللغوي، بل تعاقب مخالفه. فدورها في التّخطيط ومكانتها لا تضاهيها مكانة، لذلك اقترن التّخطيط اللغوي بالسياسات اللغوية وتوجهات رجال السلطة ونظرتهم تجاه اللغة حتى قيل إنّ: « القرار السياسي هو الفاصل في القضية اللغوية وعن طريقه يحصل الأمن اللغوي »²⁵.

وبما أنّ اللغة هي المحرك الأول للسلطة والواسطة المتينة بين الحاكم والمحكوم، فإنّ أيّ تدخل في إصلاحها يستوجب حضور القرار السياسي والذي يترتب عنه تخطيط فعلي لها، و« قد أحدث التّغيير اللغوي في معظم الأحيان بواسطة الأفراد والتنظيمات التي تمارس ضغطا على الحكومات »²⁶. وذلك أنّ شؤون اللغة هي شؤون السلطة، وأنّ « لغات العالم صنعها الساسة والجنود والبحارة ورجال الدين ورجال الفعل ذوو المشاعر القوية »²⁷.

الإرادة الشعبية: يستمد التخطيط اللغوي نجاعته من القرار السياسي ثم من الجهود الشعبية التي تمكنه وتحتويه. فعلى الدولة أن توفر شروط نجاح أيّ تخطيط وتذلّل أمامه العقبات لترجمته واقعا ملموسا، ولا يتسنى ذلك إلا بواسطة موارد بشرية مؤمنة برسالة الأمة الجوهريّة²⁸. ويشارك المجتمع بكل شرائحه في إنجاح المخطّط، خاصة إذا كان القرار السياسي نابعا من الإرادة الشعبية موافقا لمطالب الأمة؛ فتقوية اللغة مسؤولية جماعية يشارك فيها السياسيون واللغويون والمربون والآباء ومؤسسات الأعمال. فالكل مشترك في المواقف العامة للغة²⁹، بالإضافة إلى التأثير القوي والايجابي لإتحاد أبناء الأمة على المسعى التخطيطي للغات. « فأكثر الطرق استقامة لازدهار لغة ما هو أن يبقى المجتمع متّحدا »³⁰.

المدارس والجامعات: لا أحد ينكر دور المدرسة والجامعة في التّخطيط اللغوي؛ إذ هما عاملان أساسيان في تغيير مسار تطور اللغة إذا ما استغلا استغلالا أمثلا. فتأثيرهما على اللغة ظاهر وجليّ كما بيّن ذلك الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح أنّ: المدرسة على امتدادها من جهة

بالإضافة إلى الإعلام يؤثران في اللغة أيما تأثير ولا بدّ من استغلالهما في عملية التّدخل الإصلاحي للغة.³¹

واللغة في المدارس والجامعات هي ظاهرة تفاعلية تتراوح بين كونها غاية تُتعلّم ووسيلة تُعلم بها مواد أخرى، لذلك كان نجاح التخطيط التربوي مرتبطاً بالتخطيط اللغوي، بل « إنّ جلّ القلائل التي تعيشها الأسرة التربوية من الأسفل إلى الأعلى ناجمة عن فراغ تخطيطي تربوي يرافقه تخطيط لغوي »³².

وسائل الإعلام والاتصال: إنّ تأثير وسائل الإعلام والاتصال على اللغة كبير جداً، فهي من أهمّ المنابع التي تؤثر في اللغة أيما تأثير³³. ويتراوح هذا التأثير بين الإيجاب والسلب؛ إذ تساهم في نشر اللغة وتعميم استعمالها كدور إيجابي وتذيع اللحن والتّداخل بين الاستعمالات اللغوية كدور سلبي خاصة إذا انعدمت رقابة السّلطة والوعي اللغوي لدى الإعلاميين.

معلوم أنّ « وسائل الإعلام في جملتها لسان الأمة ومنبر التّواصل بين الجميع والتّحاور معهم، إنّها بذلك آلة فعالة في تشكيل الأفكار ورسم الاتجاهات والنزعات وتقديم الخبرات والمعارف والثّقافات، فهي قدوة أو مثل يُحتذى بخيره وشرّه »³⁴. ومنه كان توجيه هذه القدوة الإعلامية لصالح التخطيط والإصلاح اللغوي أمر ممكن.

ولما كانت وسائل الإعلام متعدّدة ومتنوعة بين الاتصال المرئي والمسموع والمكتوب كالنّلفاز والمذياع والجريدة، كان انتشارها في المجتمع انتشاراً واسعاً يشمل جميع اللّاقات والشرائح؛ لأنّ « لغتها أقرب إلى لغة التّخاطب؛ أي لغة المجتمع والاتصال اليومي »³⁵. وفق هذا الاعتبار أدرك المخطّطون أهمية وسائل الإعلام في التخطيط فأشاروا بضرورة استثمارها كوسيلة تخطيطية فاعلة كما يقول لويس جان كالفي (Calvet Louis Jean): « إنّ اللّاقات الدّالة على أسماء الشوارع ولّاقات الطّرق وأرقام السّيّارات والملصقات الإشهارية وبرامج الإذاعة والتّلفزة هي الأماكن المفضلة والممتازة للتّدخل من أجل ترقية اللّغات »³⁶.

إن هذه المراحل التي يمر بها التخطيط اللغوي معتمداً فيها على الوسائل المذكورة سلفاً، هو الممهّد لاستثمار لغوي تكون مكانة اللغة المرموقة فيه ومنتها المحكم قواعد ومعجم وكتابة هو رأس المال المدفوع والذي حتماً دون أدنى شك سيعود بالخير والربح الوفير على جميع الأصعدة والميادين، فهو قوة اقتصادية ناجمة عن غلبة مكانة اللغة وهو قوة سياسية واجتماعية مردّها الوحدة اللغوية لأبناء الأمة الواحدة والقضاء الثنائيات وهيمنة اللغات الأجنبية، وهو التّطور والرقي التكنولوجي نتيجة مسابرة معجم اللغة لمصطلحات العلم والحضارة ونتيجة كفاءة النمط الكتابي الخطي لمستجدات آلات الرقن والكتابة والطباعة.

ضرورة التخطيط للغة العربيّة والاستثمار فيها:

إذا كان التخطيط اللغوي يعمل على ترقية اللّغات وتقريبها وتعميم استعمالها وإصلاح خطّها، فإنّ العربيّة أشدّ حاجة وضرورة لتخطيط يعيد بريقها ويضمن مكانتها بين اللّغات في عالم التعدّد اللغوي واللّهجي؛ إذ « تزداد التّحديات التي تواجه العربيّة خلال الفترة الأخيرة بسبب المدّ العولمي الذي يسير بخطى حثيثة نحو محو الهويات والقضاء على الخصوصيات وإمالة الكثير من اللّغات التي لا تمتلك قدرة الصمود والمواجهة أمام الإنجليزية وغيرها من كبريات اللّغات

«37. إلا أنه ولاشك في قدرة اللغة العربية على الصمود والمواجهة كونها لغة علم وحضارة، لكن إذا ما أراد لها أهلها ذلك.

و» قد ينظر البعض بأن موضوع التخطيط اللغوي لا يستحق الأرمادة الكبرى لمسألة اللغة باعتبارها وسيلة اتصال لا غير «38، لكن هذا لا ينطبق على اللغة العربية؛ لأن الحفاظ على العربية هو الحفاظ على الهوية والانتماء والتميز. من هنا كان النظر للتخطيط اللغوي بالنسبة للعربية من عدة خلفيات وأهداف تدعو إليه منها:

أن التخطيط اللغوي ينطلق من خلفية عربية إسلامية، فاللغة العربية لها دور رئيس في بناء الأمة والأوطان في كافة الأصعدة والميادين، وأن اللغة العربية مصدر رئيس من مصادر الدّخل القومي ومقومات وجود الأمة العربية الإسلامية.39 فهذه الخلفيات خاصة أن العربية مهد التشريع الإسلامي ولغة دستوره الأعلى (القرآن الكريم)، وديوان تراث الأمة، تجعل من إصلاحها والعمل على ترقيتها أمرا ضروريا، بالإضافة إلى قومية هذه اللغة التي تلمّ شمل المشرق بالمغرب.

ارتباط اللغة بالتعليم وارتباط التعليم بجميع مناحي الحياة الأخرى. ولا شك أن اعتماد العربية في التعليم من أكبر التحديات التي تواجه الشعوب العربية رغم أنها مؤهلة لاستيعاب جميع العلوم واحتوائها، بل هي سبيل قوي لتعليمها والتعبير عنها، وقد «دلت كل التجارب والبحوث التربوية والنفسية والاجتماعية الجادة على أن استيعاب العلوم والتقنيات لا يتم بالشكل العميق، إلا إذا تم تلقين هذه العلوم والتقنيات باللغة الوطنية أو القومية في كل مراحل التعليم، ومنها مرحلة التعليم العالي»40. كما أنه «إذا علّمت شخصا بلغته، فقد نقلت العلم إلى تلك اللغة. أما إذا علّمته بلغة أخرى، فإنك لم تفعل شيئا سوى أنك نقلت ذلك الشخص إليها»41.

لهذا كان «التعليم باللغات الأجنبية للصغار والناشئة أمرا خطيرا من شأنه أن يعزل هؤلاء وأولئك عن أقرانهم ويصنع منهم طبقات ثقافية واجتماعية محرومة من التأخي والتآلف مع سائر المواطنين»42. ثم إنه «ليس في وسع أمة ما أن تعيش عيشة محترمة وتصون كرامتها ما لم تضطلع بالعلم اعتمادا على لغتها في المقام الأول»43. من هنا وجب اعتماد اللغة العربية في تدريس جميع فنون العلم، ولا يتوهم أحد أنها عاجزة عن التعبير عن لغة الطب أو الهندسة أو غيرها من العلوم؛ إذ جُلّ هذه العلوم أصلها ومنشؤها الأول هو الحضارة العربية القديمة.

لعل من الدواعي الملحة كذلك على ضرورة التخطيط للغة العربية تلك الإشكاليات والقضايا الراهنة التي تهدد كيانها وتزعزع مكانها، منها التعدد اللغوي وهيمنة اللغات الأجنبية على كثير من المجالات والوظائف اللغوية، بالإضافة لقضايا معجمها اللغوي ودخول العديد من الألفاظ الأجنبية، ثم إشكالية الخط العربي وضرورة إصلاحه واعتماده بالعمل التخطيطي.

إنّ النظر في هذه القضايا والإشكالات الراهنة للغة العربية، هي من جوهر التخطيط لها، حتى ترتقي من واقع متردي، إلى واقع مؤهل لتحقيق استثمار شامل في جميع الميادين، خاصة الاجتماعية والتعليمية. والخلاصة في الأمر أن هذا الاستثمار لن يتأتى إلا بالسعي الحثيث على ضرورة التكامل في تطوير العربية لتحقيقه، وكذا تحقيق الهيمنة والتمكن في الميادين الأخرى والتخلص من تبعية التعدد؛ إذ غلبة اللغة من غلبة أهلها والمغلوب مولع بالغالب كما يرى ابن خلدون.

الهوامش:

- 1 - ينظر: حسني بيومي، أساسيات التمويل والاستثمار، (مقال)، العربية للإعلام، القاهرة، 1994، ص05، متاح في: mmaquara2t.com.
- 2 - ينظر المرجع السابق، ص07.
- 3 - تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1999، ص1-4.
- 4 - أنيس فريجه، نظريات في اللغة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، ط1، 1981، ص2، ص7.
- 5 - فندريس، اللغة، ترجمة محمد الدواخلي ومحمد القصاص، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1950، ص24.
- 6 - ينظر: المعجم الوسيط، مادة استثمر.
- 7 - ينظر: المصدر نفسه، مادة استثمر.
- 8 - ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة خطّط.
- 9 - مجموعة أساتذة، مفاهيم التعليمية بين التراث والدراسات اللسانية الحديثة، ص10.
- 10 - لويس جان كالفي، السياسات اللغوية، ترجمة محمد يحياتن، ص10.
- 11 - كمال بشر، اللغة العربية بين الوهم وسوء الفهم، دار غريب للنشر والطباعة والتوزيع، القاهرة، ط1، 1999، ص31.
- 12 - صالح بلعيد، التخطيط اللغوي في الجزائر الضرورة المعاصرة، أعمال ملتقى التخطيط اللغوي في الجزائر اللغات ووظائفها، ص242.
- 13 - عبد العلي الودغيري، دور اللغة الوطنية في التنمية وتحقيق الأمن الثقافي، أعمال ملتقى التخطيط اللغوي في الجزائر اللغات ووظائفها، ص52.
- 14 - لويس جان كالفي، علم الاجتماع اللغوي، ترجمة محمد يحياتن، دار القصة للنشر، 2006، ص11.
- 15 - عبد الجليل مرتاض، مفاهيم لسانية دي سوسورية، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، 2005، ص10.
- 16 - نيقولاس أوستلر، إمبراطوريات الكلمة تاريخ للغات في العالم، ترجمة محمد توفيق البجيرمي، دار الكتاب العربي، بيروت، 2011، ص33.
- 17 - خليفة الميساوي، تداخل الألسن دراسة المظاهر والقيود اللسانية، نادي الأحساء الأدبي، ط1، 2011، ص17.
- 18 - ينظر: لويس جان كالفي، حرب اللغات والسياسات اللغوية، ترجمة حسن حمزة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 2008، صفحة الغلاف الأخير.
- 19 - نيقولاس أوستلر، إمبراطوريات الكلمة تاريخ للغات في العالم، ترجمة محمد توفيق البجيرمي، ص42.
- 20 - فلوريان كولماس، اللغة والاقتصاد، ترجمة أحمد عوض، سلسلة كتب عالم المعرفة، الكويت، ط1، 2000، ص30.
- 21 - المرجع نفسه، ص44.
- 22 - محمد العربي ولد خليفة، أعمال ملتقى التخطيط اللغوي في الجزائر، ص08.
- 23 - عبد الجليل مرتاض، التنمية والتخطيط اللغوي في العربية، أعمال ملتقى التخطيط اللغوي في الجزائر اللغات ووظائفها، ص219.
- 24 - لويس جان كالفي، السياسات اللغوية، ترجمة محمد يحياتن، ص10.
- 25 - صالح بلعيد، في الأمن اللغوي، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2010، ص42.
- 26 - ينظر: فلوريان كولماس، دليل السوسيولسانيات، ترجمة خالد الأشهب ومجدولين النهيبي، ص952.
- 27 - نيقولاس أوستلر، إمبراطوريات الكلمة تاريخ للغات في العالم، ترجمة محمد توفيق البجيرمي، ص51.
- 28 - ينظر: عبد الجليل مرتاض، التنمية والتخطيط اللغوي في العربية، أعمال ملتقى التخطيط اللغوي في الجزائر اللغات ووظائفها، ص206.
- 29 - ينظر: محمد فلاق، الآليات التنفيذية في التخطيط اللغوي ودورها في إنجاح السياسات اللغوية، أعمال ملتقى التخطيط اللغوي في الجزائر اللغات ووظائفها، ص227.
- 30 - نيقولاس أوستلر، إمبراطوريات الكلمة تاريخ للغات في العالم، ترجمة محمد توفيق البجيرمي، ص49.
- 31 - ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، المؤسسة الوطنية للطباعة والنشر، الجزائر، 2007، ج2، ص98.
- 32 - عبد الجليل مرتاض، التنمية والتخطيط اللغوي في العربية، أعمال ملتقى التخطيط اللغوي في الجزائر اللغات ووظائفها، ص208.
- 33 - ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج2، ص98.
- 34 - كمال بشر، اللغة العربية بين الوهم وسوء الفهم، ص112.
- 35 - بن يشو الجيلاني، نحو تخطيط لغوي لتهديب لغة الإعلام في الجزائر، أعمال ملتقى التخطيط اللغوي في الجزائر اللغات ووظائفها، ص334.
- 36 - لويس جان كالفي، السياسات اللغوية، ترجمة محمد يحياتن، ص62.
- 37 - عبد العلي الودغيري، دور اللغة الوطنية في التنمية وتحقيق الأمن الثقافي، أعمال ملتقى التخطيط اللغوي في الجزائر اللغات ووظائفها، ص52.
- 38 - صالح بلعيد، التخطيط اللغوي في الجزائر الضرورة المعاصرة، أعمال ملتقى التخطيط اللغوي في الجزائر اللغات ووظائفها، ص242.
- 39 - المرجع نفسه، ص242.

-
- 40 - صالح بلعيد، لماذا نجح القرار السياسي في الفتناء وفشل في؟ دار هومة للطباعة والنشر، الجزائر، 2002، ص128.
- 41 - عبد العلي الودغيري، دور اللغة الوطنية في التنمية وتحقيق الأمن الثقافي، أعمال ملتقى التخطيط اللغوي في الجزائر اللغات ووظائفها، ص40.
- 42 - عبد اللطيف عبيد، حاجة الوطن العربي لسياسة لغوية جادة، أعمال ملتقى التخطيط اللغوي في الجزائر اللغات ووظائفها، ص93.
- 43 - كمال بشر، اللغة العربية بين الوهم وسوء الفهم ، ص99.